

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ بطرس ٥: ٦-١٤)

يا إخوة إتضعوا تحت يد الله القديرة ليرفعكم في الأوان* وألقوا عليه همكم كله فإنه يعتني بكم* أصحابوا واسهروا فإن إبليس خصمكم كالأسد الزائر يجول ملتصقاً من يبتلعه* فقاوموه راسخين في الإيمان عالمين أن هذه الآلام بعينها تتم على إخوتكم الذين في العالم* وإله كل نعمة الذي دعاكم إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعد تألمكم اليسير يجعلكم كاملين راسخين مؤيدين مؤسسين* له المجد والعزة إلى دهر الدهور آمين* قد كتبت إليكم بالاختصار على يد سلوانس الأخ الأمين (فيما أظن) واعظاً وشاهداً أن هذه هي نعمة الله الحقيقية التي أنتم ثابتون فيها* تسلم عليكم الكنيسة المختارة معكم التي في بابل ومرقس ابني* سلموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة. السلام لكم يا جميع الذين في المسيح يسوع.

أحد حاملات الطيب

في الأحد الثاني بعد الفصح تجدد الكنيسة إيماننا بالقيامة المقدسة بإقامة تذكارات القديسين يوسف الرامي ونيقوديموس والنسوة حاملات الطيب. يذكر الإنجيل: «يوسف الذي من الرامة مشير تقي وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله» (مرقس ١٥: ٤٣)، هذا جاء «وسأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع. فأذن بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع. وجاء أيضاً نيقوديموس الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً» (يوحنا ١٩: ٣٨ و٣٩). كلاهما جهزا جسد يسوع للدفن ووضعاه

منه أولاً ويعرف ماذا فعل. أجابوا وقالوا له: أألك أنت أيضاً من الجليل. فتش وانظر، إنه لم يقم نبي من الجليل» (يوحنا ٧: ٥١-٥٢).

أما النسوة حاملات الطيب فهن النسوة اللواتي تبعن يسوع في بشارته وكن يعملن في الخفاء ولم يذكرهن الإنجيليون كثيراً. إنهن النسوة اللواتي كن عند صليب يسوع عندما صرخ بصوت عظيم وأسلم الروح: «وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم

المجدلية (التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين) ومريم أم يعقوب الصغير ويوسفي وسالومة اللواتي أيضاً تبعن وخدمته حين كان في

الجليل. وأخر كثيرات اللواتي صعدن معه إلى أورشليم» (مرقس ١٥: ٤٠-٤١). حاملات الطيب كن الشاهدات على قيامة الرب يسوع من بين الأموات عندما دخلن القبر الفارغ وبشرن الملاك بالقيامة. لقد أتين ليطيبن جسد الرب لكنهن تفاجأن وقد أخذتهن الرعدة والدهش، وكن أول من حمل البشارة للرسول وللآخرين: «الذي كن يلبسنه كماتت وهن باكيات (ليطيبنه) قد سجدن له إلهاً حياً» (من قانون الفصح). إن حواء، المرأة الأولى، التي قيل لها بعد ابتعادها عن محبة

العدد ٢٠٠٤/١٧

الأحد ٢٥ نيسان

أحد حاملات الطيب

تذكارات يوسف الرامي ونيقوديموس

والقديس الرسول مرقس الإنجيلي

اللحن الثاني

إنجيل السحر الرابع

في قبر جديد منحوت في الصخر. يوضح الإنجيلي يوحنا (٣: ١-١٣) ان نيقوديموس كان من رؤساء الكهنة اليهود الفريسيين وكان من المؤمنين برسالة الرب يسوع وكان مؤمناً أن يسوع أتى من الله وإن الله معه. وحين كان يسوع يعلم في اليوم الأخير من العيد «إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب» (يوحنا ٧: ٣٧)، تشاور رؤساء الكهنة على يسوع ليمسكوه فجاء نيقوديموس ووقف في وسطهم ودافع عن يسوع قائلاً «أأعلم ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع

الإنجيل

(مرقس ١٥: ٤٣-٤٧؛

١٦: ١-٨)

في ذلك الزمان جاء يوسُفُ الذي من الرامة مشيراً تقياً وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله. فاجترأ ودخل على بيلاطس وطلب جسد يسوع* فاستغرب بيلاطس أنه قد مات هكذا سريعاً. واستدعى قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات* ولما عرف من القائد وهب الجسد ليوسُف* فاشترى كتاناً وأنزله ولفه في الكتان ووضعهُ في قبر كان منحوتاً في صخرةٍ ودحرج حجراً على باب القبر* وكانت مريمُ المجدليةُ ومريمُ أم يوسُفَ تنظران أين وضع* ولما انقضى السبت اشترت مريمُ المجدليةُ ومريمُ أم يعقوبَ وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه* وبكرن جداً في أول الأسبوع وأتين القبر وقد طلعت الشمس* وكنَّ يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر* فتطلعن فرأين الحجر قد دحرج لأنه كان عظيماً جداً* فلما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاءً فانذهلن* فقال لهن لا تنذهلن. أتطلبن يسوعَ الناصري المصلوب. قد قام ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه*

الله انها بالحزن والأوجاع تلد، كانت أول من تلقى بشارة فرح القيامة والخلاص وإعادة الشركة واللحمة مع الله.

القسم الثاني من النص الإنجيلي الذي يُقرأ في هذا الأحد المبارك (مرقس ١٦: ١-٨) هو نفسه النص الذي نقرأه في خدمة الهجمة صباح أحد الفصح المقدس لأن حاملات الطيب كنَّ أول من أعلن لهن الملاك بشرى القيامة، وهنَّ نقلنهن للرسل، والرسل نقلوهن للعالم أجمع. لذا فإن حاملات الطيب يجسدن رسالة الكنيسة وكل الجماعة المسيحية. مهمة الكنيسة كانت وستبقى إعلان قيامة الرب للجميع لأن القيامة هي أساس إيماننا المسيحي: «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم» (١ كورنثوس ١٥: ١٧). قد لا نستطيع أن نحيا خبرة حاملات الطيب الحسية بالدخول إلى القبر الفارغ في القدس، لكننا بالتأكيد نستطيع أن نحيا خبرتهن روحياً وملتقي بالمسيح القائم بالوسائل التي وضعها لنا من أجل خيرنا. فنحن نلتقي به من خلال الأسرار، بل ونتحد به في المناولة المقدسة. نلتقي به من خلال إخواننا وأخواتنا البشر الذين نعيش معهم.

ما نتعلمه من حاملات الطيب هو السعي باكراً جداً وراء يسوع. علينا كل يوم صباحاً باكراً جداً، مع طلوع الشمس، أن نوجه فكرنا نحو الرب يسوع الشمس الحقيقية لنطلب منه أن يشرق نوره في عقولنا وقلوبنا فينير نهارنا وحياتنا بقيامته. «المجد لك يا مظهر النور» (صلاة السحر)، «سهل خطواتي يا رب فاعمل بوصاياك» (من صلاة الساعة الأولى).

اليوم نعيد للمحبة والأمانة للرب. المهم أن نبقى أمناء للرب إلى المنتهى. وحدهن حاملات الطيب،

مع يوسف ونيقوديموس، لم يتركن يسوع على الصليب وحده حين تركه الجميع بمن فيهم الرسل. وإذا كنا أمناء لا بد أن نعين وجه الرب في اليوم الأخير ويدخلنا إلى ملكوته. ما نتعلمه من حاملات الطيب هو الإقدام دون خوف لعيش حقيقة القيامة متجاوزين الناموس العقلي، وحاملين مكانه الطيب الزكي، طيب الإيمان والثقة بالله وناقلين إياه إلى كل المسكونة.

فرح حاملات الطيب بالقائم من بين الأموات لا يوصف. فمن عاين في داخله هذا الفرح، هذا النور، لا يمكن أن يصمت بل يصرخ بأعلى صوته كارزاً ببشارة الملكوت الذي حققه الرب في داخلنا. لنصمد في محبة المسيح، لأن محبي لله وحدهم يعاينون نور القيامة.

في البدء كان الكلمة

قد يستغرب المرء ان الكنيسة الشرقية لا تقرأ في قداس عيد الفصح المقدس «إنجيلاً فصيحاً»، أي إحدى الروايات الواردة في الأناجيل عن قيامة السيد، بل الآيات الأولى من إنجيل يوحنا (١: ١-١٨). لقد رتب واضعو الليتورجيا البيزنطية أن يُقرأ إنجيل يوحنا بين الفصح والعنصرة. هذا، طبعاً، يضرب جذوره في التاريخ. فالصوم لم يكن، في العصور الأولى للمسيحية، مجرد تهيئة للفصح بل فترة تحضيرية لطالبي المعمودية الذين يدعون «موعوظين» في المصطلح الكنسي. هؤلاء كانوا يعدون لاقتبال المعمودية ليلة الفصح، عبر تعلمهم مبادئ الإيمان المسيحي طوال فترة الصوم الأربعيني. وكانت الكنيسة تستند في تعليمها هذا إلى الأناجيل الثلاثة الأولى، متى ومرقس ولوقا، مستثنية إنجيل يوحنا لأنها كانت

فأذهبنا وقلنا لتلاميذه
ولبطرس إنه يسبقكم إلى
الجليل. هناك ترونه كما
قال لكم* فخرجنا سريعاً
وفررنا من القبر وقد
أخذتْهُنَّ الرُّعْدَةُ والدهشُ.
ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهنَّ
كنَّ خائفات.

تأمل

قل لي يا يوسف، أدفنت
يسوع موجّهاً إياه إلى
الشرق كسائر الأموات، وهو
مشرق المشارق؟ هل أغلقت
بأصابعك عينيه كما يجري
للأموات، وهو الذي فتح
عيني الأعمى بإصبعه
القدوس؟ هل أغلقت فم ذلك
الذي فتح فم الأبكم
الأخرس؟ هل ربطت يدي
ذلك الذي حلّ اليدين
المخلّعتين؟ هل قيّدت قدمي
يسوع الذي حرّك القدمين
اليابستين؟ ربما حملت
على سرير الأموات هذا
الذي أمر المخلّع بأن يحمل
سيرره. ربما سكبت طيباً
على الذي أخلى ذاته كطبيب
سماوي ليجدد العالم؟ هل
تجرّأت على مسح الجنب
المسيل الدم، جنب يسوع
الإلهي الذي شفى النازفة
الدم الحزينة؟ هل غسلت
بالماء جسد الإله الذي غسل
خطايا الكل ووهب
التطهير؟ أي سراج أشعلت
أمام النور الحقيقي المنير
كل إنسان؟ هل رتلت
تراتيل جنازتيّة لذلك الذي
ترنم له القوآت الملائكية

تعتبره الأكثر عمقاً وتعبيراً عن ألوهة
يسوع، بحيث أن الموعوظين لا
يصبحون مؤهلين لسماعه إلا بعد
معموديتهم.

ولكن، ثمة أيضاً سبب لاهوتي
يفسّر قراءة إنجيل يوحنا في الزمن
الفصحى، وهو يتصل بالسبب
التاريخي. فهناك علاقة متينة بين
المعمودية والفصح. المعمودية، في
مفهومها الأساس، موت مع المسيح
على رجاء القيامة. هذا هو السبب
الذي ساق كنيسة القرون الأولى إلى
اختيار ليلة الفصح لإقامة
المعمودية. فالمعمد. أو عرابه. يعلن
في أثناء معموديته انضمامه إلى
شعب المسيح، ويعترف بأن يسوع
«ملك وإله» عليه.

ألوهة السيد، كما ورد آنفاً، واحدة
من الأفكار المركزية في إنجيل
يوحنا: «في البدء كان الكلمة،
والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة
الله» (يو: ١). وقد ظهرت هذه
الألوهة بأجلى صورة لحظة القيامة،
عندما برهن السيد أنه منتصر على
الموت بانجاسه حياً من القبر. هذا
يوضح السبب اللاهوتي لاستهلال
قراءة إنجيل يوحنا يوم الفصح.
فالمدخل إلى ألوهة السيد المعبر
عنها في إنجيل يوحنا لا يمكن أن
يكون الاستدلال العقلي المحض، بل
القيامة، حيث بين يسوع أنه ليس
مجرد إنسان يتألم ويموت، بل إله
قادر على قهر الموت.

من اللافت أيضاً أن يسوع في
الآية الأولى من إنجيل يوحنا يدعى
«كلمة». يختلف الشراح المعاصرون
في مصدر هذا اللقب. أما الأقدمون
فاحتسبوا أن يسوع يُسمى كلمة
لكونه يُفصح عن الله أبيه، كما أن
الكلمة تنقل أفكار قائلها: «الله لم يره
أحد قط. الابن الوحيد الذي في حضن
الأب هو خبر» (يو: ١: ١٨). فإذا كان
البشر لا يستطيعون رؤية الله أو

لمسه، فإن كلمته «يصوره»، أي
يعكسه في أقواله وأفعاله، في تعليمه
وسلوكه. طبعاً ليس مستبعداً أن يكون
كاتب الإنجيل قد قصد أيضاً تذكير
قراءه بالآيات الأولى من سفر
التكوين: «في البدء خلق الله السموات
والأرض... وقال الله ليكن نور» (تك
١: ١-٣).

في مستهل كتاب التكوين يخلق
الله الكون بكلمته. فإذا نأت الخليفة
عن فاطرها، لا مناص من ردها إليه
عبر عملية خلق جديد. مصدر هذه
الخليفة الجديدة هو كلمة الله.

ولكن بأي معنى أمسى يسوع
خليفة جديدة؟ الجواب يرد في الآية
الرابعة عشرة: «والكلمة صار جسداً
وحلّ بيننا». الآية الأولى من القراءة
الإنجيلية أكدت ان الكلمة إله حقيقي،
أما الآية ١٤ فتشير إلى أنه إنسان
حقيقي. كلمة «جسد» هنا لا تعني
الجزء المنظور من الإنسان دون
جزئه غير المنظور. هذا متأصل في
الفكر السامي القديم الذي، بخلاف
الفكر اليوناني، لم ينجح إلى الفصل
بين أبعاد الإنسان وطاقاته. وهو
كثيراً ما عبر عن الكيان الإنساني
كله بلفظة «جسد» لكون الجسد مظهر
الكيان، أي مكان ظهوره، ومستودعه.
ينتج من هذا ان الخليفة الجديدة
يفتحها كلمة الله بتجسده، أي
بصيرورته إنساناً. فحياة الله وقوته
الكفيلتان بإعادة الخليفة الأولى إلى
بهائها لا تسريان في ملئهما ما لم
يكن ثمة نموذج اتحاد كامل بين الله
والبشر، أي كلمة الله نفسه. ويرى
المسيحيون أن جريان هذه الحياة
الجديدة فيهم إنما يتم في المعمودية
وسر الشكر، إذ يمسي كل مشترك
فيهما جزءاً من هذه الخليفة الجديدة.
لذا، فإن ذروة القداس الفصحى، حيث
كان الله يمن على «الموعوظين»
بالمعمودية، إنما هو تناول جسد
الرب ودمه.

بلا فتور؟ هل سكبت دموعاً على يسوع الذي دمّع وأقام لعازر صديقه المائت؟ هل رثيت الذي منح الفرح ووضع حدًا لحزن حواء؟

مغبوطتان على كل حال يداك يا يوسف لأنهما لامستا اليدين الإلهيتين، وقدمي يسوع النازفتين دماً. مغبوطتان يداك اللتان مستا جنب الإله قبل يدي توما الأمين في فضوله المستحق المديح. مغبوط فمك الذي شبع ممن لا يُشبع منه واتحد بقم يسوع فامتلاً منه بالروح القدس. مغبوطتان عيناك اللتان قابلتا عيني المسيح وأخذتا منهما النور الحقيقي. مغبوط وجهك الذي واجه وجه يسوع. مغبوطان كتفك اللذان حملتا الذي حمل الجميع. مغبوط رأس الذي اقترب من يسوع رأس الجميع.

طوبى لكما يا يوسف ونيقوديمس لأنكما أصبحتما شيروبيماً مثل الشيروبيم عندما حملتما الإله ورفعتماه، وأصبحتما سيرافيماً قبل السيرافيم ذوات الستة الأجنحة عندما خدمتما الإله. لقد أكرمتما المسيح وسترتماه لا بالأجنحة بل بالسباني. هذا الذي ترتعد منه الشيروبيم يحمله يوسف ونيقوديمس على أكتافهما وينقلانه مع كل الأجناد السماوية.

القديس أبيفانيوس القبرصي

القيامة، إذًا، في منظار الآيات الأولى من إنجيل يوحنا سبب لاستذكار أعمال الله العظيمة التي يمسي هذا الكون بفضلها مدى لطافة الله التجديدية، لا مسرحاً للعبث.

المسيح قام

إفرحي يا أورشليم، وأنتم يا جميع من يحبون يسوع، اجتمعوا، لأنه قام. إبتهجوا أنتم يا من كانوا قبلاً محزونين (أشعيا ٦٦: ١) لسماعكم بجرأة اليهود ومعاصيهم. لأن الذي أهانوه أنئذ، قام من الأموات. وكما أن الذين استمعوا إلى العظة عن الصليب حزنوا، فليفرح الحاضرون الآن بنبأ القيامة. ليتحول الحزن إلى فرح، والنوح إلى سرور (مزمو ٢٩: ١٢)، وليمتلئ فمنا فرحاً وابتهاجاً (مزمو ٧٠: ٨). لأنني أعرف الحزن الذي شعر به أصدقاء المسيح في تلك الأيام الماضية. في الوقت الذي اقتصرت فيه عطاتنا على الموت والدفن، لم نكن قد أعلننا نبأ القيامة. لذلك كانت أذهانكم معلقة بما ترغب في سماعه. لقد قام إذًا هذا الذي مات، وكان حراً بين الأموات، وحرر المائتين. هذا الذي في آلامه كلل بالشوك خزيًا له، قام متوجاً بإكليل الغلبة على الموت.

بما أن اليهود الصم لا يطيعون الكتب الإلهية ويكذبون قيامة يسوع، ناسين كل ما هو مكتوب، يحسن بنا أن نواجههم بهذا: لماذا تعترفون بأن أليشع (٤ ملوك ٤: ٢٠-٣٧) وإيليا (٣ ملوك ١٧: ١٧-٢٤) أقاما موتى، وتعارضون قيامة مخلصنا؟ صحيح أنه ليس لدينا اليوم حي ولا واحد من شهود ذلك العهد، ولكن أظهروا لنا شهودكم من ذلك العهد. إن كان ما تقبلونه مكتوباً، فإن ما نقبله مكتوب أيضاً. فلماذا تقبلون شهادة

دون الأخرى؟ لقد كان أولئك الذين كتبوا هذه الأمور عبرانيين، وجميع الرسل كانوا عبرانيين، فلماذا لا تصدقون عبرانيين؟ متى كتب الإنجيل بالعبرية، وبولس المبشر كان عبرانياً ابن عبراني (فيلبي ٣: ٥)، والرسل الإثنا عشر كانوا عبرانيين، وأساقفة أورشليم الخمسة عشر الذين تعاقبوا كانوا عبرانيين. فلماذا إذا تقبلون كتبكم وترفضون كتبنا التي كتبها عبرانيون مثلكم؟

قد يقول قائل: يستحيل إقامة الموتى. ومع ذلك أقام أليشع ميتاً مرتين: مرة وهو حي بعد، وأخرى وهو ميت (٤ ملوك ٤: ٣٧-٢٠). نحن نؤمن أن ميتاً قام عندما ألقى على جثة أليشع (٤ ملوك ١٣: ٢١)، ولكن هل المسيح لم يقم من بين الأموات؟ في الحالة الأولى لمس الميت أليشع وقام، ولكن الذي أقامه بقي ميتاً كما كان قبلاً. أما في حالتنا، فقام الميت وقام معه أموات كثيرون دون أن يلمسوه لأن «كثيرين من القديسين الذين كانت أجسادهم ترقد، قاموا وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧: ٥٢-٥٣). أقام أليشع ميتاً ولكنه لم يسيطر على الأرض، أقام إيليا ميتاً ولكن الشياطين لا تخرج باسمه. إنني لا أقول هذا للإساءة إلى الأنبياء، بل للإشادة بذكر سيدهم. اننا لا نحط من قيمة هذه الأحداث للإشادة بأحداثنا، لأن هذه الأحداث أيضاً هي أحداثنا، وعلى أساسها ندعم أحداثنا.

القديس كيرلس الأورشليمي

بالامكان الإطلاع على النشرة

أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb